الفصل الثالث:
١١٠١ موظف
يقطنون البحر ويصادقون الأسماك ويقرضون الشعر

حسن اليامي يحمل ابتسامة لا تغرق في السفائية

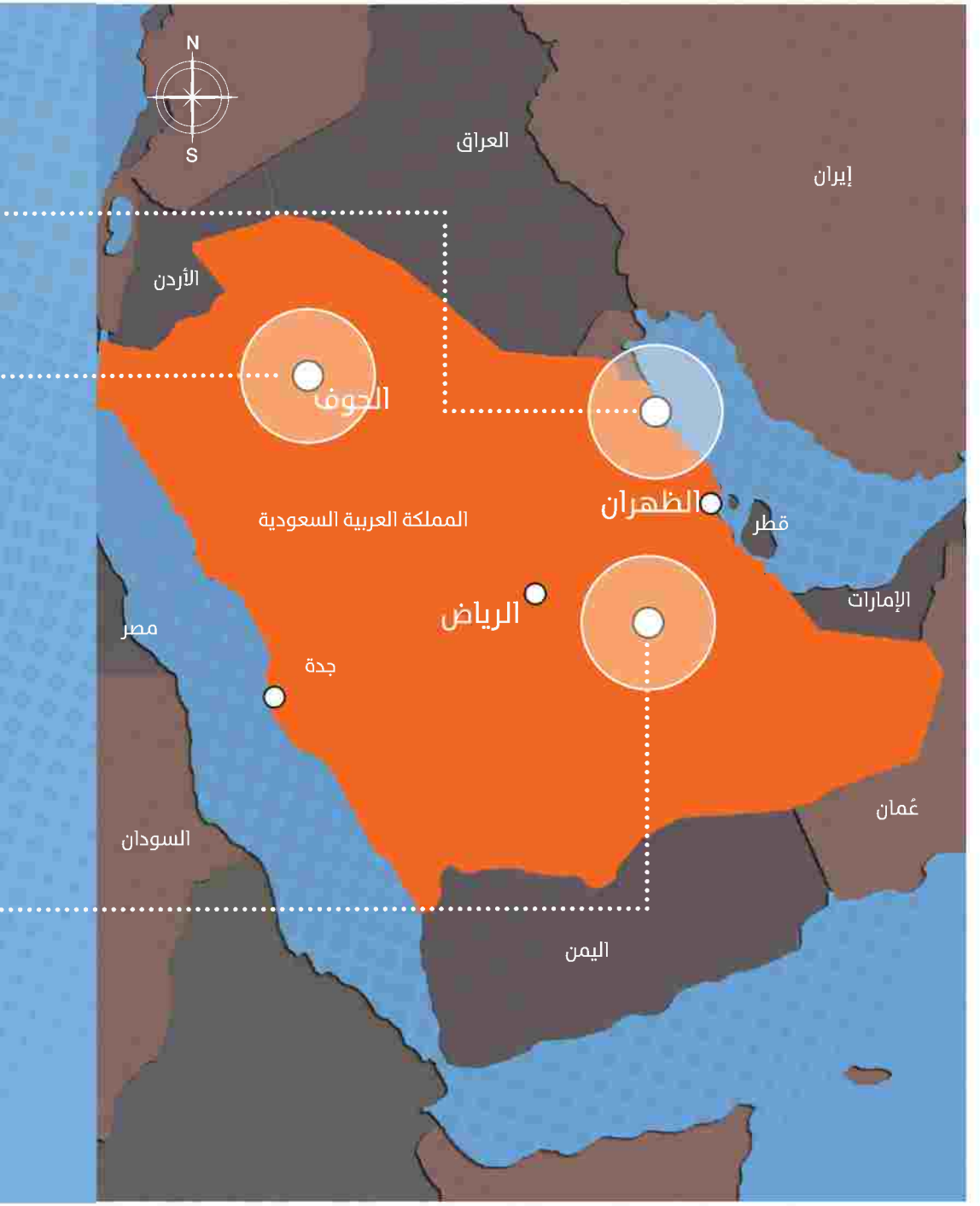
N
S
العراق
إيران
الأردن
الجوف
الظهران
المملكة العربية السعودية
قطر
الإمارات
الرياض
مصر
جدة
عُمان
السودان
اليمن

الفصل الثالث:

السفانية

حقل السفانية هو أكبر حقول الزيت المغمورة في العالم ويقع في الخليج العربي على بعد ٢٦٥ كيلومتراً إلى الشمال من الظهران. وقد تم اكتشافه في العام ١٩٥١ ويبلغ طوله ٥٠ كيلومتراً، كما يبلغ عرضه ١٥ كيلومتراً، ويحتوي على ما يزيد على ٣٥ بليون برميل من الاحتياطات المتبقية وتتجاوز طاقته الإنتاجية ١,٢ مليون برميل في اليوم.

الجوف

تقع منطقة الجوف في شمال غرب المملكة وتُعد منطقة الجوف ثامن أكبر منطقة في المملكة من حيث المساحة، حيث تبلغ مساحتها ١٢٠٧٢٢ كم مربع. وتشتهر الجوف بتاريخها العريق وأشجار الزيتون، حيث تقطن الجوف نحو ٨ ملايين شجرة زيتون أي مايعادل ٢٠ شجرة زيتون لكل مواطن. كما تعيش فيها ١٢٥٠٠ مزرعة.

الحوية

صحراء يباب تبعد ٢٤٥ كيلومتراً عن الظهران. على ضفافها ينبت معمل لاستخلاص سوائل الغاز الطبيعي سيقوم أيضاً باستخلاص نحو ٣١٠ آلاف برميل يومياً من الإيثان ومنتجات سوائل الغاز الطبيعي من مصدري الغاز وإعادة الغاز الرجيع إلى شبكة الغاز الرئيسة.

البيئة البحرية في البحر الأحمر، المملكة العربية السعودية

١١٠١ موظف يقطنون البحر ويصادقون الأسماك ويقرضون الشعر

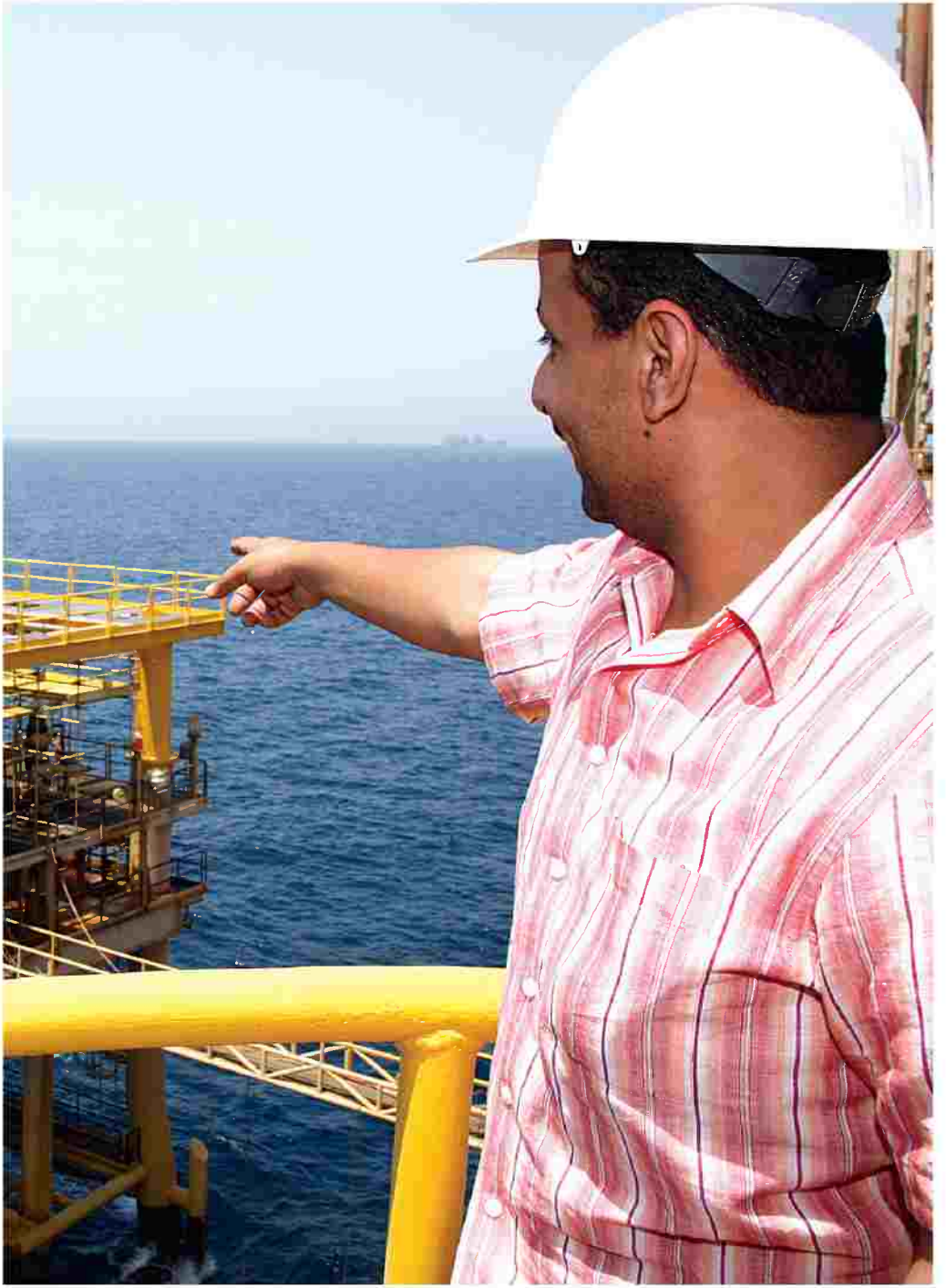

هل تمنيت أن تصبح سمكة؟ ستعتريك هذه الرغبة عندما تزور معامل أرامكو السعودية في المنطقة المغمورة في السفانية المبللة بالإثارة والتضحية. يقول ملاحظ آبار حقل الظلوف، سعيد العصيمي (٤٣ عاماً) الذي يقضي نحو ٢٠٦٤ ساعة سنوياً في البحر منذ ١٦ عاماً: «أخشى التقاعد؛ لأنني سأنفصل عن البحر وسأفتقد زملائي».

ما سر هذه العلاقة الخاصة التي تربط ١١٠٠ موظف بالبحر؟ كيف استطاعت أرامكو السعودية المحافظة على معنوياتهم في أصعب الظروف المناخية والعملية؟ من هم هؤلاء الذين كرَّسوا جهودهم، في عرض البحر، للمساهمة في إمداد الوطن والعالم بالطاقة بانتظام وبمصداقية عالية؟

أسئلة أجبنا عنها من خلال رحلة ميدانية امتدت إلى ٢٨ ساعة تنقلنا خلالها بين المعامل العائمة على متن مروحيات ووسائل نقل أرامكو السعودية.

نشر في ١٢ يوليو ٢٠٠٦م

تعاهد مشعل العليان، فني الكهرباء في الصندل البحري (أرب ١) ورفاقه أن يتغلبوا على الظروف المناخية الصعبة في البحر بابتسامة لا تذوب

تصوير: هادي المكاييل

حافلات بدينة وسماء قلقة

بدأت الرحلة يوم الثلاثاء ٢٤ جمادى الأولى ١٤٢٧هـ، (٢٠ يونيو ٢٠٠٦م)، قبل أن تستيقظ الشمس، وعلى وجه التحديد في تمام الساعة ٤:١٤ فجراً، عندما انطلقت أنا والزميل المصور هادي المكاييل بالسيارة متوجهين إلى مرفق أرامكو السعودية للطيران في مطار الملك فهد الدولي بالدمام، الطريق كان حافلاً، شاحنات بدينة تسير ببطء في المسار الأيمن، وسيارات صغيرة مملوءة بوجوه تعلوها الحماسة تركض في المسارين الأوسط والأيسر، في حين وضعت السماء يدها على خدها في انتظار أشعة الشمس.

وصلنا إلى المطار عند الساعة الخامسة و٨ دقائق، خضعنا إلى تفتيش اعتيادي، ثم توجهنا للحصول على بطاقتي صعود الطائرة قبل تناول وجبة الإفطار. تم الإعلان عن الرحلة المتوجهة إلى رأس تناقيب التي سنتوقف فيها قبل أن ننتقل إلى منصات أرامكو السعودية في عرض البحر.

صعدنا إلى الطائرة في تمام الساعة ٦:٢٠ صباحاً، بعد ١٣ دقيقة ارتفعنا إلى السماء، وصلنا إلى مطار الأحساء الساعة ٦:٥٩ صباحاً، توقفنا ١٦ دقيقة، امتلأت المقاعد الفارغة، ثم ارتفعنا مجدداً.

هبطنا في مرفق أرامكو السعودية للطيران في رأس تناقيب في تمام الساعة ٧:٥٧ صباحاً، ويقع رأس تناقيب على بعد ٢٥٠ كيلومتراً من مدينة الظهران، و٢٣٠ كيلومتراً من رأس تنورة. ويقع فيه مقر إدارة إنتاج المنطقة المغمورة في السفانية. ويبلغ إجمالي عدد الموظفين السعوديين العاملين في الإدارة ٧٨٩ موظفاً، منهم ٦٦١ موظفاً يعملون في المرافق التابعة للمناطق المغمورة. كما يساند هؤلاء الموظفين في العمل في المناطق المغمورة ٤٤٠ موظفاً من موظفي المقاولين.

وفور وصولنا إلى مرفق طيران الشركة في رأس تناقيب استقبلنا المساعد الإداري في إدارة إنتاج المنطقة المغمورة في السفانية، مرشد الرحلة، صلاح الكعبور، بابتسامة هائلة، وترحيب بالغ. قبل أن نستقل المروحية «الهيلوكبتر» للانتقال إلى منصات أرامكو البحرية، دعانا الكعبور لمشاهدة فيلم قصير يحتوي على إرشادات وقائية لكيفية ركوب المروحية.

موظفون يغادرون المنصة بالهيلوكبتر

تمتزج في ملامح هيثم الصالح
ورفاقه علامات التحدي والإصرار

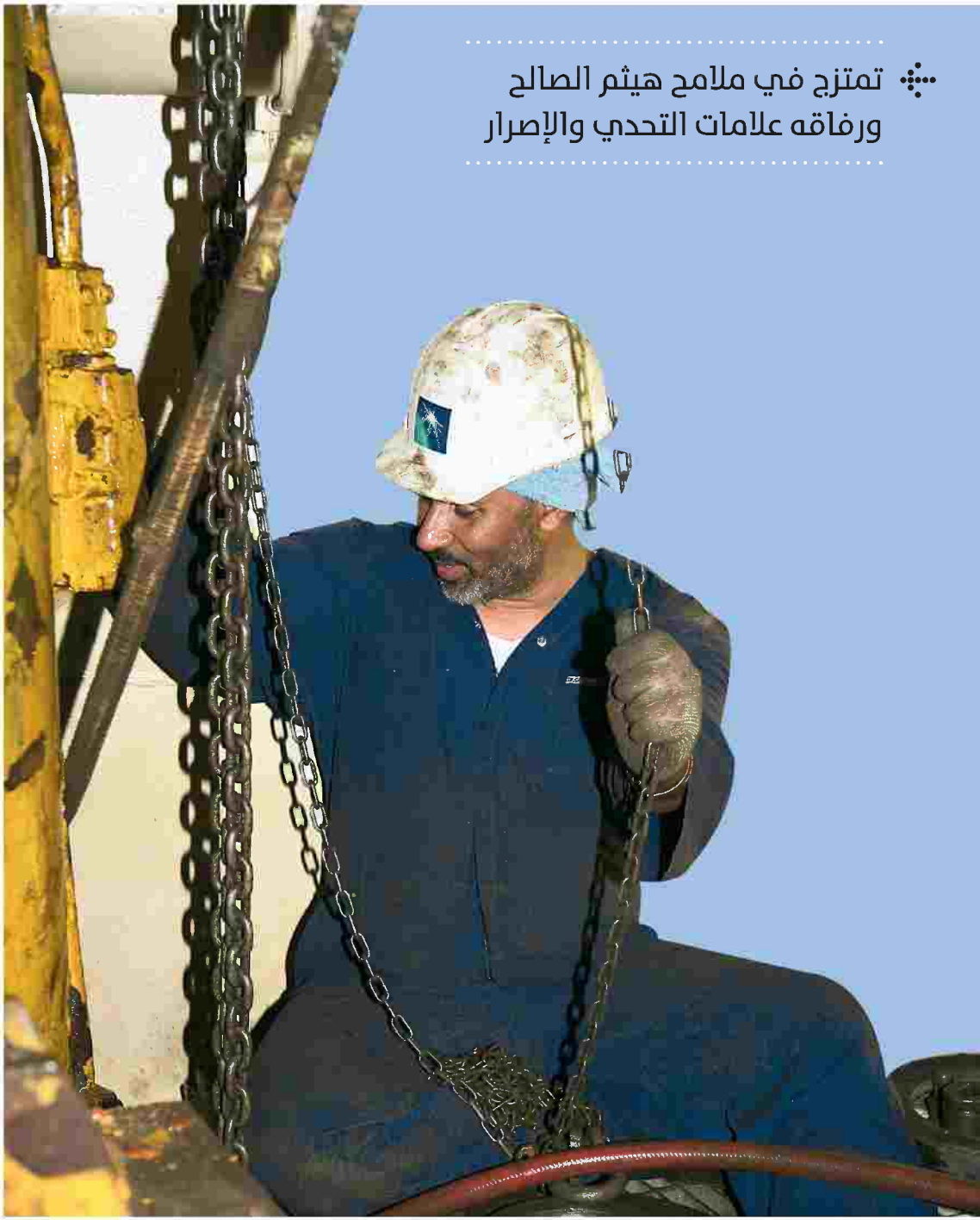

وبعد مشاهدة الفيلم وفي طريقنا إلى الهيلوكبتر لم يخفِ الكعبور سعادته بالعمل بين الأزرقين، في إشارة إلى السماء والبحر، مؤكداً ارتباطه الوثيق بهما، معبراً عن ذلك العشق بارتداء قميص أزرق يشبههما. وعندما صعدنا إلى المروحية استقبلنا الكابتن غيث الشبل، ومساعده خالد العقيل بحرارة أذابت جليد الخوف الذي تكدس على جلدي لكوني أركب طائرة مروحية لأول مرة في حياتي.

ارتدينا سترات النجاة الصفراء، وربطنا أحزمتنا، ثم التفت باتجاهنا الكابتن العقيل إيذاناً بانطلاق الرحلة المثيرة.

فخر على جبين البحر

بعد ٢٣ دقيقة من التحليق بين السماء والبحر على متن مروحية أرامكو السعودية، وصلنا إلى (معمل فرز الغاز من الزيت في السفانية رقم ٤) التابع لحقل السفانية، والذي يقع الجزء الأكبر منه في المنطقة المغمورة في الخليج العربي، ويقع على بعد ٢٠٠ كيلو متر تقريباً إلى الشمال من مدينة الظهران. وينتج هذا الحقل الزيت الخام العربي الثقيل. وينقسم هذا الحقل إلى ثلاثة أقسام: القسم الشمالي والقسم الأوسط والقسم الجنوبي. وقد اكتشف مكمن السفانية في عام ١٩٥١م، وبدأ الإنتاج في عام ١٩٥٦م. كما يضم حالياً ثلاثة معامل لفرز الغاز من الزيت في المنطقة المغمورة (معمل فرز الغاز من الزيت في السفانية رقم ٢، ومعمل فرز الغاز من الزيت في السفانية رقم ٣، ومعمل فرز الغاز من الزيت في السفانية رقم ٤). ويبلغ إجمالي عدد الموظفين الذين يقيمون في هذه المرافق ويعملون فيها ١٧٥ موظفاً، كما يعمل حوالي مئة موظف من موظفي المقاولين على مساندة أعمال الشركة في السفانية.

بعد أن هبطنا تماماً على سطح (معمل فرز الغاز من الزيت في السفانية رقم ٤) العائم، ودعنا الكابتن ومساعده، في حين استقبلنا رجل الأمن في أرامكو السعودية، محمد الغريب (٤٧ عاماً)، ناولناه التصاريح الرسمية بزيارة المعمل، وبطاقاتنا الشخصية، قرأها بعناية ثم اطلع على محتويات حقائبنا، قبل أن نرافقه إلى مكتبه المجاور الذي قدَّم لنا فيه القهوة والزلابية والفطائر والكعك والتمر.

الغريب لديه ١٤ ابناً، ٧ ذكور، و٧ إناث، يدين بالفضل للبحر في استقرار أسرته، يقول: «تعلَّم كل فرد من أفراد

توماس ألجير، وفواز الشمري قبل إقلاعهما

أسرتي الاعتماد على نفسه، لكوني أعيش معظم وقتي بعيداً عنهم، بجوار الرفاق والأسماك».

بعد أن تناولنا القهوة وذكريات الغريب وزميله فهد الثويني مع السفانية، انتقلنا إلى غرفة الترفيه التي في المعمل والتي كان يقطنها وقتئذ عدد من العاملين في المعمل. وقد قرأت الترحيب في وجوههم وسخاء تعابيرهم، ولاحظت أنه عندما يبدأ أحدهم جملة، يكملها زميله، يقول رئيس وحدة المشغلين في (معمل فرز الغاز من الزيت في السفانية رقم ٤)، حمد التركي: «أسهم عملنا مع بعض لمدة طويلة في توطيد علاقتنا لدرجة أننا نعرف ماذا سيقوله زميلنا الآخر قبل أن ينبس ببنت شفة».

التركي الذي التحق بأرامكو السعودية منذ ٣٠ عاماً، يعترف أن زملاءه في العمل يعرفونه أكثر من أسرته، يقول: «ابني الصغير يهرب مني عندما أعود إلى منزلي».

يقول مدير إنتاج المنطقة المغمورة في السفانية، الأستاذ عبدالله الكبيسي: إن أرامكو السعودية فخورة بهؤلاء الشباب الذين يعملون في ظروف قاسية ١٢ ساعة في اليوم، لمدة ٧ أيام متواصلة بعيداً عن أسرهم لإمداد الوطن والعالم بالطاقة.

ويعمل الموظفون في المنطقة المغمورة بمختلف تخصصاتهم بمن فيهم المشغلون والحرفيون والمهندسون في نوبات عمل تمتد لاثنتي عشرة (١٢) ساعة ضمن جداول عمل متفاوتة من أجل ضمان استمرار العمل في إنتاج المواد الهيدروكربونية لتوفير متطلبات العرض والطلب من تلك المنتجات. وتتلخص جداول العمل المتبعة في إدارة إنتاج المنطقة المغمورة في السفانية فيما يأتي:

- ٣/٧ – ٤/٧ (سبعة أيام عمل وثلاثة أيام عطلة، وسبعة أيام عمل وأربعة أيام عطلة) – ويخصص بصفة رئيسة لجميع المشغلين والحرفيين العاملين في نظام النوبات.

- ٢/٥ (خمسة أيام عمل ويومان عطلة) – ويخصص للموظفين العاملين بنظام العمل الاعتيادي، بمن فيهم المهندسون وملاحظو الأشغال والعاملون في الوظائف الإشرافية.

- ٣/٦ أو ٢١/٤٢ (ويسمى جدول العمل الخاص، وهو عبارة عن ٤٢ يوماً للعمل تعقبها ٢١ يوماً للعطلة) – ويخصص بصفة رئيسة للموظفين العزاب العاملين في التخصصات الفنية من الجنسيات البريطانية أو الأمريكية أو الكندية.

عوائد ومستقبل

بجانب التركي، يبدو ملاحظ أشغال الصيانة في السفانية رقم ٤، عبدالعزيز العويس، مرتدياً قميصاً رمادياً، يقطعه نهران، الأول يأخذك إلى كتفه والثاني إلى قلبه، تعلو عينيه ابتسامة عائمة في وجهه كالمعمل الذي يعمل فيه، يستمد العويس طاقته وفرحه من حماسة رفاقه في العمل وزهو أسرته بما يقوم به «لا يوجد شعور يضاهي إحساسك بفخر من حولك بك نتيجة ما تقوم به».

وتذكَّر العويس قبل أن نغادره، الموقف الإنساني الذي تصدى له رئيسه السابق خالد العميرين عندما توفت والدته: «تم توفير طائرة خاصة نقلتني إلى الدمام على جناح السرعة»، مؤكداً أن هذا الموقف كان له تأثير إيجابي على معنوياته هو وزملائه الذين شعروا بقيمتهم وأهميتهم.

أما رئيس وحدة المشغلين في معمل السفانية رقم ٤، عايد الظفيري فرغم انهماكه في العمل في أثناء زيارتنا إلا أنه حرص على المشاركة في حوارنا الجماعي.

عايد الذي يعمل منذ ١٤ عاماً في السفانية يمتدح إدارة أرامكو السعودية العليا على زياراتها المتكررة للمعامل في المنطقة المغمورة، «للوقوف على مشكلاتنا واقتراحاتنا».

لكن لم يخف حزنه لأن ابنه الذي لم يتجاوز ٧ سنوات لا يناديه بـ«أبي» بل: «عايد» فقط؛ لأنه لا يشاهد أباه إلا لماماً بسبب طبيعة عمله، يقول عايد الذي يرتدي قميصاً يعلوه شعار أرامكو السعودية: «عندما يكبر ابني، سيعلم أن كل ما أقوم به من أجله هو وإخوته». بمحاذاته يجلس مهندس التشغيل في المعمل، مقحم القعيط، الذي يؤكد أن العمل في البحر كما يأخذ منك يعطيك، حيث يحصل الموظف على امتيازات يستطيع من خلالها تأمين مستقبله هو وعائلته في مدة قياسية.

موظفا الأمن فهو الثويني ومحمد الغريب، على سطح منصة معمل السفانية رقم ٤

أقرب من وريد

ومن العوائد التي يستفيد منها الموظفون العاملون في المنطقة المغمورة: ١٧٪ علاوة العمل في الظروف القاسية شهرياً، و٤ ساعات عمل إضافية يومياً واثنتا عشرة (١٢) ساعة عمل إضافية في يوم العمل السابع. بالإضافة إلى طعام مجاني فاخر، والسكن، وغسيل الملابس، والنقل، والمرافق الطبية في موقع العمل. وقد أخذني حمد التركي في جولة على مرافق المعمل، ومن بينها غرفة نومه التي بدا فيها سريران وجهاز كمبيوتر مرتبط بخدمة الإنترنت المجاني الذي توفره الشركة لموظفيها، وهاتف ثابت، وتلفاز يقدِّم أكثر من ١٠٠ قناة عربية وأجنبية.

بعد نحو ٣ ساعات مثيرة في (معمل فرز الغاز من الزيت في السفانية ٤) العائم، حان موعد الرحيل إلى شقيقه (معمل فرز الغاز من الزيت في الظلوف رقم ٢) التابع لحقل الظلوف والذي يقع في الخليج العربي على بعد حوالي ٦٧ كيلو متراً إلى الشمال الشرقي من مرافق الإنتاج على اليابسة في السفانية (٢٤٠ كيلو متراً شمال مدينة الظهران). وقد اكتشف الحقل، الذي ينتج الخام العربي المتوسط، في عام ١٩٦٥م. ويضم حقل الظلوف أربعة معامل لفرز الغاز من الزيت (معمل فرز الغاز من الزيت في الظلوف رقم ١، ومعمل فرز الغاز من الزيت في الظلوف رقم ٢، ومعمل فرز الغاز من الزيت في الظلوف رقم ٣، ومعمل فرز الغاز من الزيت في الظلوف رقم ٤). ويبلغ إجمالي عدد الموظفين الذين يقيمون في هذه المرافق ويعملون فيها ١٥٦ موظفاً، كما يعمل حوالي مئة وخمسة من موظفي المقاولين في وظائف متفرقة في المنطقة المغمورة من حقل الظلوف.

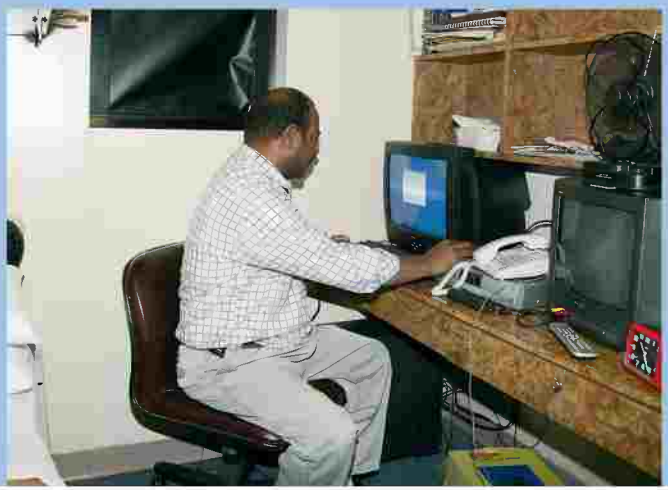

حمد التركي وهو يستخدم كمبيوتره الشخصي في غرفته بمعمل السفانية العائم

وقد انتقلنا من السفانية ٤، إلى الظلوف ٢ بواسطة مروحية يقودها الأمريكي توماس ألجير وعلى يساره السعودي فواز الشمري، واللذان لم يكفا عن الابتسام طوال الرحلة التي امتدت إلى ٢٥ دقيقة في السماء، وعندما سألت الشمري عن سر الابتسامة الدائمة التي تطفو على وجهه، أجاب قائلاً: «حتى تستمتع أنت ومن معك بالرحلة». وقبل أن أودعهما، سألتهما أن أصورهما سوياً، فأجريا عدة اتصالات بإدارتهما قبل أن يعلنا ابتسامة أخيرة أمام عدسة المصور.

وعند هبوطنا في المعمل الثاني، استقبلنا موظف الأمن في أرامكو السعودية، عبدالرحمن الحمود، بقامته الفارعة وأسنانه الذهبية، وجبينه الأسمر، وقد أبدى تعاوناً كبيراً بعد أن اطلع على تصاريح الزيارة والحقائب التي برفقتنا.

وفي أثناء شربنا الشاي في مكتب الأمن المصمم لاستيعاب ثلاثة أشخاص فقط، بينما كنا نتراص نحن الخمسة في كل مساحة متاحة فيه: موظف الأمن، مقبول حسن مقبول والمصور والزميل صلاح الكعبور سألتُ الموظف عبدالرحمن، عن مدى ارتياحه في العمل في البحر؟ فرد باقتضاب وسعادة: «سنحت لي فرص عديدة للانتقال لكنني تمسكت بالبقاء هنا، بعيداً عن مشكلات اليابسة وصداعها».

ويؤكد الحمود الذي يعمل في أرامكو السعودية منذ ٢٦ عاماً، ولديه ٨ أبناء، ٥ ذكور، و٣ إناث، أن المرء عندما يبلغ سناً معينة تضعف قدرته على تحمل صراخ الأطفال واحتجاجات المراهقين، يقول: «بقائي في البحر أفضل لي أنا ولهم، إذ يزيد الشوق وينخفض التوتر والانفعال».

ولم ينس الحمود أن يشكر المسؤولين في أرامكو السعودية على توفير كل ما من شأنه رفع معنويات الموظفين العاملين في المناطق المغمورة وزيادة معدل إنتاجيتهم وجودته. وفي هذا السياق يقول الحمود: «أسهمت إمكانية الاتصال من خلال الجوال التي سعت الشركة إلى إيصالها بالقرب من المعامل العائمة في تسهيل عملية تواصلنا هاتفياً مع عوائلنا في أي وقت وأي مكان». فضلاً عن خدمة الإنترنت التي «جعلتني أقرب إليهم من أوردتهم».

التركي الذي التحق بأرامكو السعودية منذ ٣٠ عاماً، يعترف بأن زملاءه في العمل يعرفونه أكثر من أسرته، يقول: «ابني الصغير يهرب مني عندما أعود إلى منزلي».

شعر وزواج

بعد احتساء الشاي، انتقلنا إلى المطعم الكائن في الطابق السفلي، لتناول وجبة الغداء والحديث مع عدد من الموظفين. كانت الساعة تشير إلى ١١:١٥ صباحاً، وجدنا ٧ أشخاص يتناولون وجبتهم، بادلونا التحية من مقاعدهم بعد أن باغتناهم بجملة: «لا سلام على الطعام». احترنا أمام البوفيه، ٥ أصناف شهية، ذكرتنا بالمثل الألماني: «كلما ازداد الطعام جودة، ازدادت الشهية».

بعد أن اختار كل منا طبقه المفضل، أخذنا مكاناً مناسباً في المطعم يسمح لنا بمطالعة تحليل مباراة إسبانيا وتونس على قناة art الرياضية، التي تشترك فيها أرامكو السعودية مع عدد من القنوات بهدف إمتاع الموظف وإسعاده خلال مدة إقامته في البحر. وبعد أن انتهينا من وجبتنا، ووضعنا الأطباق على الرفوف المخصصة، تقاطر عدد من الموظفين على طاولتنا المستديرة، واندلع الكلام.

يقول ملاحظ آبار حقل الظلوف، سعيد العصيمي (٤٣ عاماً) الذي يقضي نحو ٢٠٦٤ ساعة سنوياً في البحر منذ ١٦ عاماً، إذ إن علاقته مع البحر لم تكن على ما يرام عندما عُيِّن في المناطق المغمورة لأول مرة: «خبر تعييني في البحر، كان أسوأ نبأ في حياتي، شعرت بصداع ودوار شديدين، لكن سرعان ما تحولت علاقتي مع البحر إلى حميمة وخاصة أنني أصبحت أقرض الشعر على مسامعه، وأخشى التقاعد؛ لأنني سأنفصل عنه».

وترتبط منسق الورديات في الظلوف، محمد النجراني (٤٢ عاماً)، أيضاً علاقة استثنائية مع المعامل العائمة التي التحق بها قبل ٢٤ عاماً، أي قبل أن تتوافر فيها القنوات الفضائية، والإنترنت، والجوال: «كنا نقف في طابور طويل لمدة ساعة من أجل مكالمة أسرنا في مدة لا تتجاوز ٥ دقائق»، وكان يقتصر الترفيه آنذاك على فيلم سينمائي يعرض ٣ مرات في الأسبوع. أما المهندس في معمل فرز الغاز من الزيت في الظلوف رقم ٢، حمد الظفيري، فيدين للبحر بالكثير فقد صقل خبرته وأضاف إلى شخصيته الكثير من الهدوء والصبر.

موظفون في معمل المرجان رقم ٢ يتناولون وجبة العشاء

ويتذكر ملاحظ معمل الظلوف رقم ٢، المهندس، محمد السبيعي (٣١ عاماً) المقابلة الشخصية التي أجرتها أرامكو السعودية معه قبل تعيينه، عندما سئل إذا كان يملك القدرة على العمل في البحر إذا أرسل إلى هناك فكانت إجابته: «يكفيني فخراً أنني أعمل في أرامكو السعودية».

بعد ٥ سنوات من التحاق السبيعي بالشركة، مازال محمد يردِّد الإجابة نفسها بالحماسة نفسها والجدية مبرراً: «اكتشفت أنني على حق عندما كافحت من أجل الانضمام لأرامكو السعودية نظراً لريادتها ودورها التنموي».

انتقلنا بعد ذلك إلى غرفة التحكم المجاورة التي بدا فيها رئيس الوحدة، مرعي القرني (٣٩ عاماً) بجانب زميله صالح الشهراني (٣٠ عاماً)، وهما يقومان بمتابعة عمليات الإنتاج بتركيز عالٍ.

يقول القرني الذي ابتعثته أرامكو السعودية إلى أسكتلندا، إذ إن ظروف العمل في المناطق المغمورة دفعته إلى تأخير مشروع الزواج: «لا أستطيع أن أجمع بين الزوجة والبحر، كلاهما بحاجة إلى اهتمام من نوع خاص».

أما صالح فيختلف مع رئيسه حيث يعتقد أن العوائد التي يحصل عليها الموظف في المعامل العائمة تساعده على «تكوين نفسه، والعيش في رغد مع زوجته وأطفاله». فيما امتدح الكهربائي، ياسين الشرفاء (٤٠ عاماً)، أبناء جلدته على مثابرتهم وجديتهم: «يقومون في البحر بأدوار مزدوجة، كهربائية وميكانيكية، ووقائية، إنهم يستحقون دعمكم واهتمامكم».

٨٧ خطوة!

جف الوقت، وحان موعد الرحيل باتجاه معمل فرز الغاز من الزيت في المرجان رقم ٢ التابع لحقل المرجان الواقع في الخليج العربي على بعد ٢٦١ كيلو متراً تقريباً شمال شرق مدينة الظهران، وعلى بعد ٩٠ كيلو متراً من مرافق الإنتاج على اليابسة في السفانية. وينتج هذا الحقل، الذي اكتشف في عام ١٩٦٧م، الزيت الخام العربي المتوسط. ويضم حالياً ثلاثة معامل لفرز الغاز من الزيت في المنطقة المغمورة (معمل فرز الغاز من الزيت في المرجان رقم ١، ومعمل فرز الغاز من الزيت في المرجان رقم ٢، ومعمل فرز الغاز من الزيت في المرجان رقم ٣)، بالإضافة إلى معمل

العصيمي: «خبر تعييني في البحر، كان أسوأ نبأ في حياتي، شعرت بصداع ودوار شديدين، لكن سرعان ما تحولت علاقتي مع البحر إلى حميمة وخاصة».

واحد لضغط الغاز في المنطقة المغمورة. ويبلغ إجمالي عدد الموظفين الذين يقيمون في هذه المرافق ويعملون فيها ١٩٦ موظفاً، كما يعمل حوالي مئة وخمسة من موظفي المقاولين على مساندة أعمال الشركة في حقل المرجان.

بعد ٨٧ خطوة هبوطاً من مدرج الطائرة الهيلوكبتر، وصلنا إلى صالة الاستقبال في معمل فرز الغاز من الزيت في المرجان رقم ٢، حيث كان في انتظارنا، ملاحظ صيانة المعمل، خميس الهاجري، تفوح منه رائحة الترحيب والحيوية.

وقام الهاجري فور وصولنا بتقديم عدد من زملائه الذين كانوا يسكنون الصالة الرئيسة خلال مدة استرخائهم، حسين الشنيف يتابع التلفاز عبر شاشة عملاقة ومساعد الدوسري يقرأ جريدة محلية متكئاً على مقعد أزرق وثير بانتظار وصول الطائرة التي ستقله إلى الدمام، بينما سلطان الأحمري يتحدث مع زميله في المعمل عن طريق الهاتف. ومصدر سحر صالة الاستقبال هو انفتاحها على المطعم والمقهى وصالة الترفيه مما يجعلها كبهو فندق.

ولفت انتباهي أيضاً مشهد، حسين المير، وحسين مكي اللذين يتحركان كأنها توأم سياميان. يقول مكي: «لا تقلق لست الوحيد الذي بحلق في تحركاتنا، القصة بما فيها، أنني أنا وحسين تربطنا علاقة قرابة وصداقة خاصة، فهو متزوج شقيقتي، إضافة إلى كوننا التحقنا بالعمل في أرامكو السعودية في يوم واحد».

وبعد تأديتنا صلاة الظهر، انتقلنا إلى غرفتي النوم التي خصصتها إدارة الإنتاج لي أنا وللزميل المصور. وبعد قسط قصير من الراحة عدنا إلى صالة الاستقبال التي شهدت وجود حشود من الموظفين الذين آثروا المتابعة الجماعية لمباراة السويد وإنجلترا. وقد التزمنا الصمت المطبق خلال اللقاء حتى لا نفسد أجواء الإثارة التي اعترت الوجوه والأجسام.

سعيد العصيمي
لا يقرض الشعر إلا على مسامع البحر

وما زاد من حماسة المباراة وإثارتها في معمل المرجان رقم ٢، هو وجود ٣ موظفين من الجنسية البريطانية يتابعون اللقاء، حيث كانوا يتفاعلون مع كل هجمة لهم أو عليهم، وأخذوا يمشطون الصالة ذهاباً وإياباً قبل تسديد منتخبهم أي ركلة زاوية أو مخالفة كأنهم في المستشفى في انتظار مولودهم البكر.

وبعد اللقاء الذي انتهى بالتعادل الإيجابي (١/١)، غادرنا باتجاه غرفة التحكم التي كانت تكتظ بوجوه مشرقة ومتناغمة وهم: عبدالله المري (٣٥ عاماً)، بندر المظفر (٢٦ عاماً)، فارس العنزي (٢٩ عاماً)، فهد القاسم (٤٦ عاماً)، حسين اليامي (٣٧ عاماً)، حمد المري (٢٦ عاماً)، تركي الشمري (٤٢ عاماً).

يتساءل عبدالله المري: «كيف لا تحقّق أرامكو السعودية هذه الإنجازات، وهي تمتلك هذا الوقود الذي لا ينفد من البشر؟». وأضاف معترفاً: «أفشي ببعض أسراري الخاصة لزملائي في العمل وكأنهم في مرتبة أهلي».

بعد أن خيَّم الليل، واستلقى على السماء، تعثرت أقدامنا في النجوم، فخلدنا إلى النوم. وبعد أن تناولنا وجبة الإفطار وعلى وجه التحديد في تمام الساعة ٨:٥٣ صباحاً، توجهنا برفقة الزميل صلاح الكمبور بواسطة الهيلوكبتر إلى (أرب ١) أحد الصنادل البحرية التابعة لأسطول متكامل تملكه أرامكو السعودية من القوارب والصنادل في المناطق المغمورة في السفانية.

استقبلنا هناك مشعل العليان (٣٢ عاماً)، وسلمان رضوان (٤٣ عاماً)، وهيثم الصالح (٤٧ عاماً)، وأحمد الغامدي (٢٧ عاماً)، وكشفوا بدورهم النقاب عن طبيعة أعمالهم اليومية التي تمتزج بالتحدي والإصرار.

وقبل أن أحزم حقائبي وأمضي سألت فني الكهرباء في الصندل البحري (أرب ١)، مشعل العليان عن كيفية تغلبه وأقرانه على الظروف المناخية الصعبة والأمواج غير الأليفة، فأجابني قائلاً: «نتغلب عليها بابتسامة تعاهدنا ألا تذوب من وجوهنا».

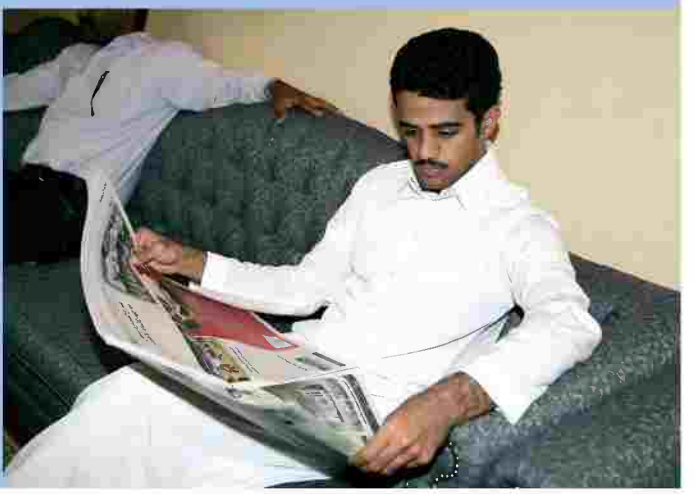

مسفر الصقور يقرأ الصحف في المعمل العائم خلال وقت فراغه

مرعي القرني في نقاش مع زميله صالح الشهراني في غرفة التحكم في معمل الظلوف رقم ٢

الفصل الثالث:
١٩٨٣ سعودياً يصنعون الدهشة في الصحراء

حسين الحساوي، ومحمد آل نور، ومحمد آل خبّاز يقومون بأعمال اللحامة فوق سقف أحد الخزانات في معمل الحوية

١٩٨٣ سعودياً يصنعون الدهشة في الصحراء

معمل أرامكو السعودية لاستخلاص سوائل الغاز الطبيعي في الحوية، الذي يبعد ٢٤٥ كيلومتراً عن الظهران، يشبه بستاناً نبت في صدر صحراء جرداء. فأعمدة الديموثنايزر (تفصل غاز الميثين عن الغاز الطبيعي) التي يصل ارتفاعها إلى ٦٠ متراً كأنها أشجار السكويا العملاقة (أطول الأشجار في العالم). كما أن المرافق العديدة والملونة في المعمل تبدو كالنباتات المشرقة في الحدائق الغنّاء.

يقول المهندس حسن المنصور، من قسم مرافق سوائل الغاز الطبيعي في الحوية : إن عمود الديموثنايزر وشجرة السكويا لا يتشابهان في طولهما وعرضهما فحسب، بل في طريقة عيشهما، فكلاهما يقتاتان على جيرانهما. فالديموثنايزر يعتمد على المرافق الصناعية المجاورة، والسكويا على النباتات المحيطة.

نشر في ١٧ أبريل ٢٠٠٧م

تصوير: هادي المكاييل

يعـزو مديـر المشـروع، محمد حمـاد، الدهشـة التي نبتت في الحوية إلى الأيدي السـعودية، فـ ١٩٨٣ مهندسـاً حوَّلوا بدورهم هذه الصـحراء القاحلة إلى معمل عملاق سـيعالج نحو ٤ بلايين قدم مكعبة قياسية من لقيم الغاز يومياً. ويشير حماد إلى أن المعمل الذي سيبدأ الإنتاج في أكتوبر ٢٠٠٧م، سـيقوم أيضا باسـتخلاص نحو ٣١٠ آلاف برميل يومياً من الإيثان ومنتجات سـوائل الغاز الطبيعي من مصـدري الغاز وإعادة الغاز الرجيع إلى شـبكة الغاز الرئيسة. ولا ينحصر دور السعوديين في الأعمال الإدارية في المعمل الجديد، بل يمتد إلى الأعمال التكميلية واليدوية التي برعوا فيها.

صنع في السعودية

يقول اللحَّام، محمد آل نور (٢٠ عاماً)، قبل أن يصـعد ٧٣ درجة تفصـله عن سـقف خـزان المادة السـائلة المعروفة صـناعياً باسـم (دي جـي إي)، ليقـوم ببعض المهمـات العمليـة: إنه يشـعر بسـعادة غامرة؛ لأنه هـو وأبناء جلدته هم من قاموا بصـناعة هذا الخزان الضـخم والثاني الذي بجـواره. وتعبيراً عـن زهوهم بما قاموا به وضـعوا لافتتين بيضـاويتين كبيرتيـن علـى الخزانين كتبوا عليهمـا باللون الأخضر: (صنع في السعودية).

يقبِّل جبين والده

ويشـير زميلـه حسـين الحسـاوي (١٩ عاماً)، إلـى أنه لم يكن يحلـم إلى وقت قريب أن يحتفل بإنجاز في حياته، وأن تنحني عدسـة كاميرا لتصويره. يقول: «سـأذهب غداً لأقبِّل جبين أبي الذي طرد كسـلي وترددي مـن أعماقي، وجعلني شخصاً مسـتقلاً ومفيداً إثر تشجيعه وحرصه على إجادتي لمهنة اللحام».

كمـا لـم يخف محمـد آل خبـاز (٢٤ عامـاً)، الـدور الذي لعبتـه أمه في رفـع معنوياته خلال بدايـة عمله في الحوية، التي تخللها الكثير من الشـوق، والإحساس بالغربة. فعندما كان يشـعر محمد بقنوط، وجزع، يتصل بأمه، التي بدورها تمطره بدعواتهـا وأمنياتها الغفيرة التي سـرعان ما تحول سرادق الكآبة في قلبه إلى مهرجان للفرح.

حسين الحساوي: سأذهب غداً لأقبل جبين أبي الذي طرد كسلي وترددي من أعماقي..

مهن عظيمة

أما اللحام عباس الدرويش (٢٦ عاماً)، الذي تقطن قميصه عشرات الدوائر التي تشكِّل فريقاً متجانساً من الوجوه الباسمة، فيرجع نجاحه هو وزملاؤه إلى أسلوب العمل كفريق واحد. وأشاد عباس بالتدريب المكثف الذي تلقاه هو ورفاقه في معهد التدريب في الأوجام (شرق مدينة القطيف) لمدة أربعة أشهر. ويؤكد الدرويش أن مصدر سعادته يعود إلى تفهم زوجته لطبيعة عمله في منطقة نائية، التي تفرض عليه البقاء بعيداً عن أسرته لمدة ٥ أيام في الأسبوع.

واستنكر عباس انصراف بعض من منحهم الله أصابع ذهبية من ممارسة النجارة واللحام والحدادة بسبب النظرة القاصرة لبعض أفراد المجتمع تجاه هذه المهن. يقول: «إنها مهن عظيمة، تجلب السعادة والمال لمن يخلص لها. ويجب أن نثبت للأصوات المناوئة مدى ضيق أفقهم من خلال العمل الدؤوب، واستثمار الموهبة». ويفكر الدرويش جدياً في افتتاح ورشة خاصة للنجارة واللحام في المستقبل القريب يضخ في شرايينها خبرته، ويعزِّز من خلالها موهبته وينقلها إلى أكبر شريحة ممكنة من الحرفيين والموهوبين من الشباب.

الشراكة المتميزة

من جهته ذكر المهندس جمال المرهون (٣٣ عاماً)، المشرف الهندسي في شركة «أي سي بي آي العربية المحدودة» أن النجاح الذي حققه اللحامون السعوديون في الحوية يجسد الشراكة المتميزة بين أرامكو السعودية والمقاولين. فأرامكو السعودية سخَّرت خبراتها، ومختبراتها لهم، مما انعكس إيجابياً على المحصلة النهائية على حد قوله.

وأشار المرهون، الحاصل على درجة الهندسة الميكانيكية من جامعة ألباما الأمريكية، إلى أن فريقه المكون من (٥) لحامين لم يواجهوا صعوبات تذكر خلال صناعتهما للخزانين الضخمين باستثناء درجات الحرارة القاسية التي واجهها فريقه بكل «رجولة، ورباطة جأش».

ويتفق مدير شركة جنرال داينمكس، فهد الضبيب، مع المرهون في الدور الذي لعبته أرامكو السعودية في تنمية المقاول المحلي. يقول: «بلغت نسبة السعودة في الشركة ٥٥٪. لا أعتقد أننا سنكبر وسنحقق هذه النجاحات دون دعم أرامكو السعودية ومساعدتها».

عندما كان يشعر محمد بقنوط، وجزع، يتصل بأمه، التي بدورها تمطره بدعواتها وأمنياتها الغفيرة التي سرعان ما تحول سرادق الكآبة في قلبه إلى مهرجان للفرح.

مشروع أم قلب؟

ومن مفارقات مشروع الحوية أنه مشروع لا تغيب عنه الشمس. فهو كالقلب ينبض طوال ٢٤ ساعة دون توقف. فعندما يخلد العاملون في أرض مشروع الحوية إلى النوم، يستيقظ آخرون في ميلان بإيطاليا لاستكمال مابدأه زملاؤهم في المملكة، وهكذا دواليك. وما يميز المشروع أيضاً أنه عصارة خبرات دولية مختلفة. فالمشروع بدأ بالأعمال الهندسية الأولية في سبتمبر ٢٠٠٣م في كلقاري بكندا. وقد بلغ عدد أعضاء إدارة المشروع وموظفي الأعمال في كندا ٤٥ موظفاً. وقد أنجزت الأعمال الهندسية الأولية في أغسطس ٢٠٠٤م. كما تم اعتماد طلبات الصرف الخاصة بتمويل المشروع من قبل اللجنة التنفيذية في شهر فبراير ٢٠٠٥م.

ومن ثم تمت ترسية المقاولات الرئيسة في مارس ٢٠٠٥م على النحو الآتي: مقاولة مرافق معالجة وضغط الغاز على سنام بروجيتي في ميلان بإيطاليا. ومقاولة سوائل الغاز الطبيعي والمرافق المرتبطة بها إلى ج. جي سي كوربوريشن في يوكوهاما باليابان. ومقاولة نظام مراقبة المعالجة إلى يوكوقاوا في سنغافورة. ومقاولة الاتصالات الدائمة على جنرال دينمكس سعودي أربيا ليمتد (وهذه هي المرة الأولى التي يعهد فيها بمقاولة الاتصالات الدائمة في مشروع ضخم إلى شركة داخل المملكة). ومقاولة البنية الأساس للإدارة المركزية إلى الشركة العربية الحديثة للإنشاءات (ماك). ومقاولة إمدادات الطاقة الكهربائية إلى شركة الكهرباء السعودية. ومقاولة المرافق المؤقتة إلى الشركة الوطنية للخدمات الهندسية والتسويق المحدودة (نسما). ومقاولة توسعة معمل الغاز في الجعيمة والحوية إلى شركة تكنيكاس رينيداس الإسبانية.

وقد أدى هذا التمازج، والتنوع إلى نتائج مذهلة. يقول مدير المشروع، محمد حماد بعد جولة قمنا بها على المعمل الحديث: «هل عرفت الآن لماذا تلونت الحوية؟».

الديموثنايزر وشجرة السكويا
لا يتشابهان في طولهما وعرضهما فحسب،
بل في طريقة عيشهما، فكلاهما يقتاتان
على جيرانهما.

اللحّامون السعوديون: عبّاس الدرويش، ومحمد آل نور، ومحمد آل خبّاز، وحسين الحساوي، وعلي العبّاد، ويجوارهم المهندس جمال المرهون، ويبدو خلفهم خزّانان ضخمان يستخدمان في تخزين المادة الصناعية السائلة (دي جي إي)

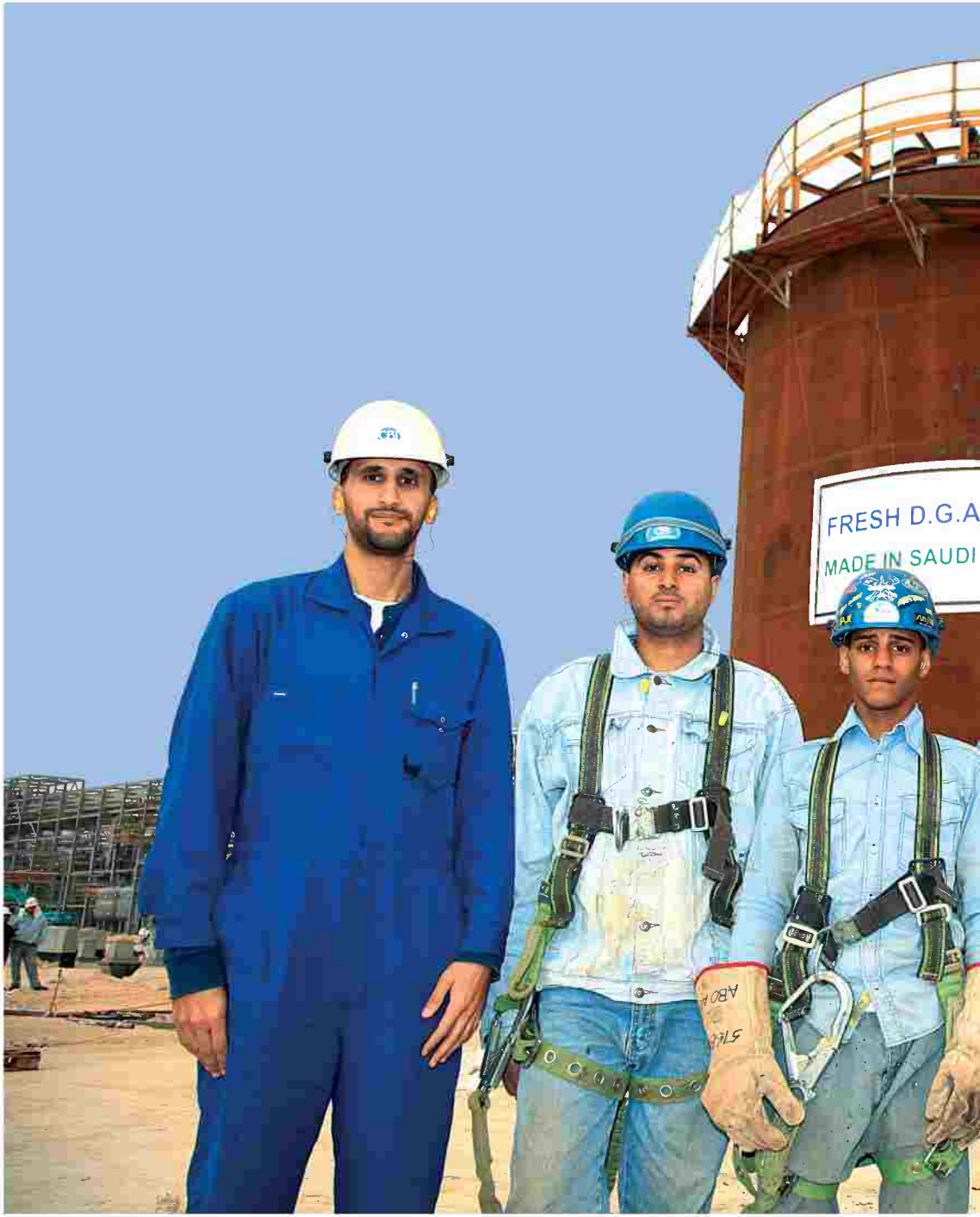
FRESH D.G.A
MADE IN SAUDI

الفصل الثالث:
وجوه مبتلة بالهيل وعامرة بالطموح في الجوف

وجوه مبتلة بالهيل وعامرة بالطموح في الجوف

يبدو مبارك براك الدرع، ٥٤ عاماً، كقهوة عامرة بالهيل. فالجميع يتحلَّقون حوله بظمأ وشغف.

التحق مبارك بمحطة توزيع الجوف قبل تدشينها بشهر، وعلى وجه التحديد في السابع من مايو عام ١٩٧٨م. وقد عاصر نمو المحطة لحظة بلحظة. فهو يشعر أن المحطة كـ «ابنته» فقد شهد مدة مخاضها، وولادتها، وتقدمها.

ويطلق عليه رفاقه في العمل لقب «العمدة» نظراً لخبرته وشخصيته وخفة ظله والتي جعلته محطة يتوقفون عندها يومياً للتزود بالفرح.

ويمقت العمدة الإجازة. فهو يمرض عندما لا يأتي إلى العمل. أما التقاعد فهو خارج حساباته. يقول: «هل سمعتم أن شجرة تقاعدت؟».

ويمتلك مبارك ذاكرة فريدة. فإذا خشي أحد رفاقه أن ينسى شيئاً ذهب وأودعه في أذن العمدة، ثم جاء ليلتقطه من رأسه بعد حين. ولدى مبارك (١٥) ابناً، من زوجة واحدة. (٩) ذكور و(٦) إناث. ويتحدث باعتزاز عن دور زوجته في تربية أبنائهما.

نشر في ٢٩ مايو ٢٠٠٧م

من اليمين: ملفي الرويلي، وبندر الشراري، ومبارك الدرع أمام موقع «الرجاجيل» التاريخي في الجوف

تصوير: مؤيد القطان

حامد الشراري: «قلبي أحدث دوياً من فرط الفرح».

رئيس أرامكو السعودية، الأستاذ عبدالله جمعة، يجلس في مكتب حامد الشراري في الجوف

ابتسامة مبكرة

حامد الشراري، ٣٦ عاماً، رئيس محطة توزيع الجوف، يقتني أكبر ابتسامة حالياً بعد زيارة رئيس ونواب الشركة لمحطة التوزيع التي يديرها. فهو لم ينم دقيقة واحدة في اليوم الذي سبق زيارتهم. فقد صرف جوف الليل في مراجعة العرض الذي سيقدمه أمامهم. وقراءة القرآن.

الشراري الذي ارتدى قميصاً كحلياً مقلَّماً وبنطلوناً بنياً، بدا متماسكاً وسعيداً وهو يقدِّم عرضه أمام مسؤولي أرامكو السعودية. يقول: «ساعدتني ابتسامة رئيس الشركة المبكرة على إذابة جليد القلق الذي التف حول جلدي».

ولم يخفِ الشراري سعادته بمبادرة رئيس الشركة بالجلوس على مقعد مكتبه والتقاط الصور التذكارية معه هو وزملاؤه. يتذكر تلك اللحظات، قائلاً: «قلبي أحدث دوياً من فرط الفرح».

اشتعال

ولم يكن حامد وحده السعيد بتلك الزيارة. فالحبور يشتعل في وجه الإطفائي في محطة الجوف، حمد عواد العنزي، ٤٦ عاماً، دون أن يستطيع إخماده.

ويزهو العنزي بأرامكو السعودية كثيراً. ويأتي هذا الفخر البالغ بعد عدة تجارب سابقة خاضها في شركات مختلفة. يقول: «لم أحظ باهتمام وتقدير كما حظيت به هنا. سأهتم أكثر بدراسة أبنائي؛ ليتسنى لهم الالتحاق بهذه الشركة المتميزة».

خيمة

ويشير رئيس وحدة العمليات في المحطة، ملفي الطرقي الرويلي ، ٤٨ عاماً، إلى أن الجميع في الجوف ينظرون إلى موظف أرامكو السعودية نظرة مختلفة. فهو مثال للالتزام والانضباط والطموح، مما جعل الكثير يأملون أن يعمل أبناؤهم في أرامكو السعودية؛ حتى تنتقل عدوى النجاح إليهم.

المهندس محمد الحازمي يستعرض البرنامج الذي ابتكره لمراقبة العمليات التشغيلية في الجوف

يمقت الدرع الإجازة. فهو يمرض عندما لا يأتي إلى العمل. أما التقاعد فهو خارج حساباته. يقول: «هل سمعتم أن شجرة تقاعدت؟».

النائب الأعلى للرئيس للعلاقات الصناعية في أرامكو السعودية، الأستاذ عبدالعزيز الخيال، يمارس هواية التصوير في موقع «الرجاجيل» الأثري في الجوف

وملفي شخصياً يدين لأرامكو السعودية بالكثير فقد جاء إلى الظهران قبل ١٩ عاماً وهو لا يملك قيمة وجبة يأكلها. وقد كان ينام في خيمة على طريق الدمام–الرياض بمحاذاة سكة الحديد خلال أيام عمله الأولى. أما الآن فيملك منزلاً فارهاً في حي الفيصلية، أحد أحدث الأحياء في سكاكا. وملفي يتمتع أيضاً بإرادة قوية جعلته يكمل مسيرته التعليمية رغم ظروفه العائلية والعملية عندما درس الثانوية مساءً، ثم التحق بجامعة الملك عبدالعزيز بجدة، ليحصل على درجة البكالوريوس في علم الاجتماع.

تحيات دافئة

يستقبلك المشغِّل بمحطة توزيع الجوف، عبدالله سعد الندوي، ٣٥ عاماً، بعناق حار في لقائكما الأول. فتخاله يعرفك، لكنه في الحقيقة يفعل ذلك مع الجميع. ويعزو عبدالله هذا السلوك غير التقليدي الذي يتعاطاه مع الجميع إلى إيمانه بأن التحية الدافئة ترفع المعنويات وتزيد من أواصر المحبة.

عبدالله، الذي يبتسم في كل لحظة، يعتقد أن الابتسامة كالوردة الطازجة يجب أن تقدمها لمن يراك، لتنبت محلها أخرى قبل أن تيبس وتجف في شفاهك، فيبسط الحزن أمتعته على وجهك.

لم يتعلم عبدالله هذه النظريات الحالمة في مدرسة أو جامعة بل تعلمها من رئيسه السابق في محطة توزيع ينبع، محمد بافيل. يقول الندوي: إن العمل في أرامكو السعودية رغم صرامته وجديته إلا أنه تعلم من خلاله أن يبتسم (كررها ثلاثاً). وأن يواجه الصعوبات والتحديات بهدوء وتأنٍ.

وأكثر ما يفتقده عبدالله في الجوف، ابنته «أمجاد» التي لم تكمل ٢٤ شهراً. فهي تقطن مع أمها وأشقائها الثلاثة ينبع البحر. ولكن هذا لم يمنع عبدالله من زيارة صوتها كلما اجتاحه الحنين. فهو يخزن مقاطع مصورة لها في جهازه الجوال، وهي تضحك، وترقص، وتقبله.

مدير إدارة التوزيع في المنطقة الغربية في أرامكو السعودية، سعود صابر، يقدّم فريق العمل في محطة الجوف لمسؤولي الشركة خلال زيارتهم